

لَعْنَةُ الْعَمَلِ

مَجْلَدٌ تَهْنِئَةً لِرَبِّهِ عَلَيْهِ سَلَامٌ يَا يَحْيَى

مركز تحقيق كتاب ميرزا علي محمد اسدي

الجزء الحادي عشر عن جمادي الاولى ١٣٣٠ = نيسان ١٩١٢

نَظَرٌ

تاريخي لنوي اتقادي

بعث اليها حضرة الكاتب اللودعي ، والشاب الالمى ، يوسف افندى
 يقرب مستبح هذه المقالة التي جمعت قواعده ، وزفها الى القراء بحلة وشاها
 قلمه البليغ ، ودبجتها براعة الحسناء ، فتوجه اليها الانظار ونستوقف على
 افنانها اطيار الافكار [لغة العرب]

ان من اطلع على شيء من تاريخ الثوار المدلومة التي ثارت رها على

الامة العربية في عصر حضارتها المدرسة وما ادركها اذ ذاك من نوالي غارات الاقدار ودواعي الدمار التي أفضت بفخامة ملكها ومدنيتها الى مهاوي الذل والبوار الى آخر ما طرأ عليها من الاستسلام الى احكام الجهل الذي مد رواقه وضرب اطنابه ما بينها يرى انه لم يبق لها من اعلام مجدها وسالف فخرها الا هذه اللغة التي لا تكاد تضاهيها في الاتساع أي لغة كانت لما اُخضت به من المزية التي عزت ان توجد في غيرها حتى تجاوب صداها بين مشارق الارض ومغاربها مما لا يسعنا استيفاء ذلك في هذا المقام

ومعلوم ان اللغة انما تقوم بالذين ينطقون بها وتثبت بثباتهم ومن تدبر ما اشرنا اليه من انفصام عروة حضارة الامة العربية وتخلفها في حلبة تنازع البقاء تخلص الى ما لحق باللغة من عوامل الفناء التي دكت حصون ما كتب المتقدمون من مبتكرات القرائح وطمست الالوف المؤلفة التي لا يأخذها الحصر من اسفار العلوم الجلائل إن كان بالاحراق كما وقع بمكاتب بغداد وفارس والاسكندرية والاندالس وغيرها او بالاجتياح والنهب والاغراق في لجج لا يعرف لها درك ولا ساحل

بحيث لم يبقَ منها إلا الشيء النزر مما لا يتجاوز في الغالب علوم الدين
 وما يتصل بها وأما ما سوى ذلك فلا يرى اليوم إلا في مكاتب
 الأعاجم وأكثره أبتيع من أيدينا وصار من مودعات الخزائن وبعضه
 قويض يكتب الخرافات والمجون وما يقابلها فأصبح في جملة الدفائن
 غير أنه مهما يكن من أمر هذه الرزايا التي حلت بالامة العربية
 فلوانها بقيت ثابتة ومجدة في أشواط سلفها من الاشتغال بأسباب العلم
 ولا سيما في ما يتعلق منه بمسائل اللغة لأحيت من آثار أساطينها ما
 خففت به اليوم عن كتبها ما بلاقوته من العي في التعبير لقعود اللغة
 عن مشايعتهم الى مجازاة العصر الحاضر بالتأدية والتجوير * بل لو اقتفت
 آثار الالوف من أولئك الدارسين والمصنفين ممن ضربوا في مناكب
 الارض بحثاً عما خبأته ذراتها من العناصر وما اشتملت عليه من
 للعادن والجواهر فوضعوا لها المسميات ونفضوا آفاق السماء تطلعا
 الى حقائق كواكبها وحرركاتها فضبطوا ما اشتقوا لها من المصطلحات
 لخدمت العلم واللغة خدمة لا يمحى ذكرها على تراخي الأعصار ولا
 تنقرض الا بانقراض القرون والاجيال * بل لو انما تفانت في الحرص

على ما كان بينهما من استتباب الصلة الاجتماعية وتوحيد الكلمة القومية غير منصرفة الى ما من شأنه اطفاء شعلة الآداب فيها وضرب الحواجز في سبيل نمو مداركها لنجت من تأثير عوامل الفاتحين بلادها واستشارهم بخصائصها الحسية والمعنوية التي اصبحت اثرأ بعدعين ككاثبت الامر لكل ذي عينين * بل لصانت لغتها التي هي افصح ما اختلج به لسان واستدركت ما طرأ عليها من الفاظ العبعة التي تفتت في جميع البلدان الى حد لم يكن يرى له مثيل في شيء من لغات بني الانسان * غير أن الامة تسربت من جوانب هذه الخطط الادبية تسرب الماء من الاناء المثلث ونزعت عن هذه المناحي التي هي عنوان منزلة الشعوب الراقية الى ما لا يعرف له منحى من غابر خمورها وتخاذلها حتى اختلط حابلها بنابلها فاستسلمت للقضاء المبرم الذي قذف بها وعلومها ولغتها من اسمى ذرى الجلالة والعلاء الى فيافي الضلالة والبلاء وسجل التاريخ في صحيفته البيضاء هذه الرزايا الدهماء وقامت لها قيامة الخطباء والشعراء وعلامن فوق المنابر ضجيج اصواتهم قياماً بواجب تأيين امة كانت دولة علومها رفيعة العماد فسيحة الظلال ورنّت

المحافل بصدى الرائين للفتها التي فجعت بفجوع المتكلمين بها حتى
بلغ انين رثائهم عنان السماء

ومذ ذاك العهد سقطت هذه اللغة الشريفة من عالم الاقلام
وفسدت بفساد ألسنة الاعقاب فأثشت عليها بالحداد انديتها بل
تحطمت وأقفرت أوديتها وظال بها عهد السكون في عالم الدثور عداة
من القرون دون ان تجد من خلف أولئك الذين طالما حملوا منارها
وبشوا اشعتها من أخطر للنظر فيها فكراً ولا أجرى لامر بعثها ذكراً
فكان أبواب الابدية أوصدت في وجهها لذنب فاضح أقترفته حتى
حق عليها مثل هذا المنفى المفرط

وقد توالى بعد ذلك الاحقاب والعصور واللغة لم تنزل متسكعة
في ديمجور القبور الى ان مست الضرورة الى تدارك هذه الحال فمن
الله على العربية في النصف الاخير من القرن التاسع عشر بيضة
رجال هم على الحقيقة اولو عزم وحزم بل من فحول بر الشام ومصر
ألاً وهم الشيخ ناصيف اليازجي . المعلم بطرس البستاني . الدكتور
كرنيليوس فاندليك . احمد فارس الشدياق . رفاعة بك الطهطاوي

عبد الهادي نجا الاياري . فيحق لهؤلاء الزعماء الاماثل ان تدون
اسماؤهم بمحلول من التبر في صفحات التاريخ اجلالاً لفدركهم بل أحر
بهم ان تقام الانصاب لعلماء مثلهم تخليداً لذكركم فانهم رحمهم الله
لما عينوا أن اللغة العربية في غمرات هي بالمولت اشبه منه بالرقاد شدوا
لها منزع الاخلاص واندفعوا بفواعل قلما يحلم الدهر بمثلها الى انهاضها
من رسمها واحياء ما درس من معالمها فعكفوا على التأليف السديدة
المنهج من علومها وآدابها بما تنصير بجانبها التأليف العصرية مما في بابها
لانهم استقصوا اطرافها واحاطوا باصولها وفروعها فجاءت آية في البراعة
والبيان . ثم تناولوا بعد التحري والتنقيب طائفة من انفس ما وصل
اليهم من كتب ورسائل المتقدمين من فحول علماء الأدب ممن
ابدعوا في صناعاتي النثر والنظم واجادوا فوق فواعل بعضها ونزهوها عن
شوائب اللبس والتحريف اللاحقة قهها من قبل النساخ حتى اعادوها
الى مطرد انسجامها وذيلوا بعضها برخيم الحواشي فاستبطنوا دقائق
اغراضها ومكنون فرائدها وعلقوا التفاسير على مغلق الفاظها حتى
برزت كالصبح وضوحاً وجلاءً . واذا لم يقضوا نهمتهم من تمثيلها

واذا عتها بين ظهراني الامة تصدوا لتدريسها بانفسهم لطلبة العلم من
تلامذة المدارس فلقنوه اياها اجزاء وقربوا مداركهم من استيعابها
فاستضاءت بصائرهم بنبراسها وتادب عليهم كثير من نوابغ العصر وجلة
الكتابة ممن ازهرت بهم تلك الثغور وابتسمت وحفلت بمطابعها
ومكاتبها وانتشرت

غير انك لا تجدهم قد اقتصروا على هذا القدر من الاشتغال
باسباب العلوم وفنون الآداب العربية بل انهم عمدوا الى انشاء الصحف
والمجلات التي كانت من أعون الذرائع الموصلة الى سرعة انتشارها
بين طبقات الناس فأيقظت المهتم من غفلتها وهبت بالفتن من
ضجعتها وتهافت القوم على تلاوتها ومطالعتها ولم تك تدري اولئك
الاسود الافاضل زعماء هذه النهضة العلمية والحركة الفكرية دائبين
في مزاوله هذه الوجهة الادبية شاحذين لها العزائم الماضية مستنزفين
ايامهم في توطيد شأنها دون ان يكثر ثروا بما طووا من مراحل الحياة
وما انتهوا منها حتى زفوا اليها من اشبالهم وذوي قرباهم إن ممن
وردوا شرعتهم واقتبسوا من علومهم وإن من اولئك المجيدين في

صناعة الازب من خريجي المدارس الاخر التي كثرت في عهد هذه
 النهضة العلمية واتسع نطاقها ما يدعونا الى التنويه بذكرهم والاشادة
 ببيض ايادهم

فمن لنا بامام من أئمة علماء هذا العصر تتقاد لبادرته دقائق
 الوصف لنشد اليه الرحال فيسبط لنا اللثام عما أوتيه الشيخ ابراهيم
 ابن الشيخ ناصيف اليازجي من التفوق بل التناهي في ابداع اساليب
 الكلام والفوص على درر المعاني التي مثلها للابصار تمثيلاً تفرد
 به عن الاشباه والنظراء بل مضاعف الخطباء ومتفني الشعراء
 حتى نكب به عن طريق ابي تمام فانتهد اليه عن استحقاق تام
 الرئاسة بين حملة العلم والاقلام . انما ما لنا والضرب في مثل هذه البيداء
 وتحمل شاق التكليف للبلوغ الى من أوتي فصل الخطاب وها هو ذا بين
 اظهرنا من تأليفه في فنون اللغة والآداب ما تكاد تحجب بازائها الانوار
 والاضواء بل لنا من محكم فصوله المتواترة في مجلاته الزهراء المدعوات
 بالطيب والبيان والضياء التي دوى صدى شهرتها في كل قطر وناد
 ما تقف دون مجاراتها سوابق افكار المبرزين في علم الانشاء وكيف

لا وقد نهج من طريق الكتابة في ابراز المبتكرات ما كشف لنا النقاب
 عن مخدرات الافكار واحداث من مذاهب التلاعب في قوالب اللفظ
 ما يحمل المطالع على التصور ان ذهنه عالم الصنع والابداع . على انه
 ان وجد من يرتاب في مثل هذه المقررات البدييات فما عليه الا ان
 يسرح رائد الطرف فيما كتب فيها من مواضيعه المستفيضة المتراصة
 الاغراض الجامعة لاصول العلم وفروعه المعنونة باللغة والعصر . المجاز .
 لغة الجرائد . اغلاط العرب . اغلاط المولدين . اغلاط لسان العرب . الشعر
 التعريب . وغير ذلك من المواضيع الجليلة في انتقاد ذخائر المتقدمين
 وتذليل بعضها فيجد هنالك من الاحاطة باسرار اللغة وآدابها وسبر
 غور حالاتها واطوارها ما لم يبارح فيها بل اذا استقرينا ما جاء
 بين تضاعيف تلك المواضع مما كتب من المقالات الهبيرة في القمر
 والزهرة والمشتري نراه قد نهج فيها من جديد الوصف بل غرر
 البدائع ورشيق الاستعارات وضروب المجاز والكنائيات التي لم
 يسبقه اليها سابق ما حق له ان ياقب بقطب افلاكها دون ان ينازع
 فيه منازع وعلى الاجمال فانه اثابه الله افام نفسه ترسا سيعا وفي

به اللغة وفنونها من هجوم الاقلام المتسفة فافنى حياته في خدمتها
وجدد من رسوم فصاحتها وبلاغتها ما يكاد يسترد لها سابق ابهتها
ورفع شرفها

ولما كان القيام باستيفاء الكلام عن جميع نصرآء علوم العربية
من العلماء الافاضل والكتاب القرح الاماثل الذين رفعوا بتآليفهم
ومنشوراتهم منار الفصاحة النعمانية وشيدوا الصروح الفخيمة
للبلاغة المقفعية مما لا يضطلع باعبآئه وصف واصل فضلاً عن انه
يتجاوز نطاق هذا الموقف لم نجد بداً من الاضراب عن الخوض في
مثل هذا الباب الواسع الاكثاف والاكتفاء بالاشارة الى ذكر
بعضهم على قدر ما تعين عليه الحافظة . ولكننا نستطرد في هذا
المقام الى ايراد اولئك الافاضل الذين قد تقطعت اوتار اقلامهم
على اثر اجابتهم الى دعوة ربهم وهم محمد عبده نجيب الحداد ابراهيم
المويلحي الدكتور بشارة زلزل الشيخ خليل اليازجي عبدالرحمن
الكواكي الشيخ محمد محمود الشقيطي بطرس كرامه اديب بك
اسحق نصر الهوريني رشيد الشرتوني وسواهم ممن طوتهم الايام

ولكن نقات اقلامهم باقية على توالي الاعوام سقى الله بصيب الرحمة
تربتهم واجزل في دار النعم ثوابهم

واما الجهابذة الذين ما فتئوا حتى الآن متفانين في نصرة اللغة
عاقدين الخناصر على الدفاع عن حياض علومها فهم سليمان البستاني
نسيب البستاني نسيب البستاني الاب لويس شيخو اليسوعي
سليم بك عنحوري سعيد الخوري الشرتوني احمد زكي باشا قسطنطين
بك الحمصي ولي الدين يكن الدكتور شبلي شميل خليل المطران
حافظ ابراهيم احمد شوقي نقولا الحداد جماعة من بيت الملوفا
مصطفى صادق الرافعي يوسف جرجس زخم توفيق الياسجي
خليل سركيس مجلة المقتطف مجلة الهلال مجلة المقتبس « الخ »
وعلى اثرهم نذكر ايضاً الاعلام الذين نبغوا في بغداد من القرن الثامن
وهم السيد محمود الالوسي عبد الباقي العمري الاخرس * واما العالمان
الفاضلان اللذان تثني بهما الاصابع ، في هذا العصر اللامع ، فهما
الشيخ محمود شكرى الالوسي وجميل صدقي الزهاوي من قد استصبح
ادباء العراق بيد علمهما في المعضلات اللغوية وضربت اليهما

اكباد الابل في المشكلات العقلية والنقلية بل طالمارن في الخافقين
 صدى تأليفهما فانبثقت انوار العرفان من سماء محرابهما
 فهو لآء الافاضل وكثيرون غيرهم من خواص اهل الادب قد
 اذابوا دمقثهم واضنوا اجسادهم بل ضحوا حياتهم في احياء رسوم
 اللغة وجمع شتيتها فادركوا من علومها حظاً وسيعاً وبلغوا من
 التبصر على اعناق المعاني فسخروها تسخييراً تأتي لهم به ان يطرسوا
 على آثار السلف من واضعي هذه اللغة * وعلى الجملة فانهم اغاروا على
 حصون اسرها وما لبثوا ان تسفوها نسفاً آهلهم من ان يظروها
 بما انتهت اليه اليوم من مظاهر الحسن والجمال بل الغز والكمال
 وهو السر في سرعة نموها وبلوغها الى هذا الحد العجيب

الآنك مع ماترى من اتعاش اللغة من كبوتها واحباء ما لندرس
 من آثارها حتى بلغت الى مثل هذا الطور طور ترعرعها وريعان
 شبابها تجد من حين الى آخر آراء بعضهم في استبدالها وتكرها
 مبسوطه على صفحات الصحائف معززة بمقدمات ونتائج لم يك
 يتناولها القلم والبرهان حتى يزيفها تزيفاً يلحقها بخبر كان * ولعمرا حق

ما ندرى ما الدواعي الباعثة الى محاولة اقتحام مثل هذه العقبات
المودية بشرف اللغة وطلاوة اسفارها الى احط الدركات واتمد طالما
'عرضت ضروب شتى من مثل هذه الاقتراحات وحبث انهما لم تلاق
اكترائاً ممن يعول عليهم في علوم اللغة 'طويت طياً بل لما انتبر
اللغويون وتناصروا على دحضها بالحجج القواطع دحروها دحراً ولكنهم
مع ما ثبتوا في اشهر صحف البلاد التي هي مستودع ذخائر العلم والعلماء
من وجوب التجافي عن مثل هذه الآراء والتوصل مما فيه تخيس
او مساس باللغة فقد استأنف بعضهم هذه الكرة وعرض على ارباب
العلم ما عن له من الرأي في تدوين جميع كلم البلاد العامية وان
يعولوا فيها على تثبيت ما هو قريب من اللغة الفصحى ويعرضوا عن
الافضال العامية والدخيلة التمه حتى اذا ألحقت بأصل اللغة
واعتمدها جميع اهل الصحف وموافي الكتب حملوا قرائح العامة على
فهمها وتقليدها فتغرب اذ ذاك شمس اللغة العامية بازائها ويسود
تكلم الخاصة والعامية بها

ولا يخفى ان الاضطلاع بجمع لغة البلاد العامية عقة تكاد لا

تظفر بها امنية بل أحر به كمن يطلب امراً لا تبلغ اليه همة قصبة
لما انه من الاعمال التي لا يقوم باعبائها الا العدد العديد في الزمن
المدهد من الكتبة المحققين والافاضل المدققين مع ما يستلزم من
تفرغهم للاشتغال به دون سواه بحيث ربما يستغرق هذا العمل جيلاً
برمته ولم يفوزوا بنهايته * وحسبنا برهاناً على هذا ما ورد عن
المستشرق التحرير دوزي (١) من مقال له في هذا المعنى ما تعريبه
« فمن الواجب اذا انشاء معجم للغة غير فصيحة لكن اللغة العربية
وآدابها غنية اي غنى حتى انه يجب اعوام بل عصور تمضي قبل ان
يشرع بمثل هذا المشروع وقد قال لاين اللغوي الانكليزي من
الجهابذة واهل الكفاءة في هذا الموضوع « ان معجماً عربياً غير
فصيح لا يؤلف الا ويقوم له جماعة عظيمة من علماء مبرزين
مبثوثين في عدة مدن من ديار الافرنج وتحت ايديهم مكاتب حافلة
بكتب خط عربية ومنهم جماعة منتشرة في بلدان اسيا وافريقية

(١) Dozy نقلاً عن كتابه الفرنسي المدعو بالملحق بالمعاجم العربية .
الجزء الاول ص ٧ من المقدمة

شأنهم شأن أولئك المذكورين فيجمع جانب من اللغة من الكتب المخطوطة والجانب الآخر من افواه الاعراب وان يتضافر لهذا المشروع علماء عارفون بعلوم المسلمين «

ثم على تسليم ان استجماع مثل هذه المؤن والمهام ليس مما يحول دونه تعذر وعناء غير انه والحالة هذه مما يقتضي نفقات طائلة ذات موارد غير منقطعة فكيف يتسنى لمن يقومون بهذه الاعمال ان يأثروا بمثل هذا المال ؟ واين الرجال من ارباب الغنى واليسار من تستفزهم النجوة العرية وتستمطرونهم الغيرة على الآداب اللغوية فيدرون عليها من فيض نعمهم السنية ؟ بل اين يا ترى من شكا من اللغة عجزاً او تقصيراً بما يستطير الخواطر للاخذ باسباب الولوج في مثل هذه الابواب ومعاناة اقتحام هذه الامور الصعاب ؟ ولكن هي اللغة التي طالما وصفها الواصفون من جلة العلماء الناطقين بها ومشاهير المستشرقين من الدخلاء فيها بانها اغزر الالسنه مادة واوسعها تعبيراً وابعدها للاغراض متناولاً واطوعها للمعاني تصويراً وكفى الناظر ان يجيل طرفه بين الواح معجساتها فانه يجد هنالك ما يغنيه

عن افسادها بادخال الالفاظ المتداولة العامة فيها لما عنده من وفرة
الكلم ومرادفاتها ما لو شاء ان يضع عدة طبقات متفاوتة المراتب
من محض اللغة الفصحى مركبة من آنس الالفاظ واسلسها لما
وجد من ذلك ما هو ادنى اليه منالاً واطوع له انقياداً ومما لا
يجد له مثيلاً في شيء من هذا بين جميع اللغات المنتشرة على السنة البلاد
اجل لا تنكر وجود لغة 'صدعت في وضعها رؤوس اربابها لما
بالغوا في نسجها من اوابد يعسر جمعها على العوام والخواص وفرائد
غالية لكنها شبه بدرر الغواص مما لا تخرق معانيها حس العامي
فيقف بازائها قاصراً عن فهمها . الا ان مثل هذه اللغة قد اهلكت
من عهد عهد ولم نجد لاستعمالها ظلاً فيما بين ابدينا من التأليف
الحديثة والكتابات المتداولة على السنة ارقى الصحف والمجلات
التي اصبحت لغتها عذبة المورد خفيفة المحمل على سمع العامي وفهمه
مما لو تسنى له استخدامها في معاملاته ومحادثاته لاتسخت بازائها
لغته الساقطة المتبدلة التي يمجها الذوق وينفر منها الطبع
ولذا فاذا ثبت ذلك تبين ان الداء الذي اريد علاجه لاستئصال

شأفة اللغة العامية ليس من الادواء التي ينبجع فيها القياس الفاظ من نفس اوضاعها والحقها بأصل اللغة القصصى فهذا الضرب من العلاج مما يشوه وجه جمالها وينكر اسلوب وضعها بل يزيد الخرق بذلك اتساعاً والطينة بله وقد سبق اولئك النوابغ من كتبة العصر الذين أشرنا اليهم واغنوا بسعة علمهم وفرط اطلاعهم وتنقيهم جميع المتشوفين الى الخوض في مثل هذا الباب وكهولهم مؤونة التطرق الى مثل هذه الابواب انما علاجه اتخاذ لغة هؤلاء الافاضل مناراً عالياً تقتني به آثارهم واستاذاً هادياً يؤهلنا من النسيج فيه على منوالهم والاجماع على ادخالها مدارس الفتيان والفتيات كلها جمعاء بل مدارس الحكومة نفسها وان تعم المكاتب في جميع انحاءها وتحمل الامة قسراً على الانضمام اليها ولا يستثنى منها ذليل ساقط ولا ضئيل لاقط حتى اذا أحكم اصول تلميز هذه اللغة وبثت اشعتها في فضاء الافهام لا تلبث ان تبلغ منها على طرف النمام فتستطاع ان ذاك اللغة العامية من عالم اللسان وتلاحق بما سبقها من لغات الفرون الخوالي وافد كنا وقفنا على شيء مما انتهت اليه الخواطر من هذا القبيل

وثارت على أثره حركة ارباب الصحف تتقاضى الحكومة لابرازه من
 حيز القوة الى عالم الفعل وانصرفت وجوه الامة العربية استبشاراً
 لما من شأنه تعزيز آخر ذخيرة تركها لها الدهر في عالم الوجود الآ
 انه ما عثمت الحوائل ان قضت قضاءها على ما جرى للحكومة في هذا
 الباب من المفاوضات فاندكت هذه الاماني الحيوية في عالم الاموات
 وعليه فاذا تقرر ان اللغة قد انتعشت من رقبتها وتجلت في مجالي
 عزها وجمالها وتأتى لحلة الاقلام من فصاحتها استخدام فنونها ومجاسنها
 لزمهم ضرورة ان يقفوا بهما عند هذا الحد من الاتساع والاباع
 ويتقلوا الى عطف النظر الى مراولة امر الوضع فيها والاحداث
 وهذا ولا جرم من الامور الحرة بان تتضافر الآراء عليه وتتزاحم
 أعمدة الصحف في مقاضائه ويتدب للقيام به علماء العصر بأسرهم على
 تفاوت مراتب علمهم وتحصيلهم ويكون محل شغل شاغل لعقولهم
 في مثل هذا العصر الذي اتسعت فيه سبل التنقيب عن اسرار الطبيعة
 والتطلع الى خفايا الكائنات بعد ما ظهر من المكشفات التي نبهت
 ارباب العقول للايفال فيها وكشف غوامضها وهتك حجب

رموزها وآثارها وليس بين معجمات اللغة من الاوضاع ما يقوم
بمباراة ذلك الغناء بل لم يُرَ هناك ما يعين على اداء كثير من المعاني
المدنية والعلمية مما كان ولا ريب متداولاً على السنة السلف وكتاباتهم
في عهد حضارتهم وعصر مدنيتههم لا غفـال المدونين عن نقل كثير
من اوضاعهم * وبعد فلو كانت اللغة قد خلت من سنن وصيغ وضع
الالفاظ فيها لوجد العلماء في ذلك عذراً يشفع بوقوفهم دون النزول
الى مثل هذا المضمار وانما هم مثل هذه الاعذار وقد سبق السابقون
فمهدوا سبل استقراء احكام الوضع واستبطنوا سره وقبضوا على
قياده على ما يجدون ذلك مثبتاً في محله

وغير خاف ان مواضع الخلل في اللغة من هذه الجهة قد لاحت
طلائعه فان نهض اليوم علماءنا والسراة ممن يهمهم صيانة لغتهم عن
الفساد ووقفوا في سبيلها الاعمار ومطامعهم من المال والآفهذه
لغتهم بعد زنى يسير مستنحط من عالم الاقلام وتذهب كل مذهب
من الخلط بين السماء والارض وتصبح عرضة للنقادين من
فحول المؤرخين وهدفاً لسهام المنددين والمفندين